



## جمالية الفن الإسلامي

ذهبية محمودي

معهد الآثار، جامعة الجزائر رقم ٢ - الجزائر

[dahbiamahmoudi@yahoo.fr](mailto:dahbiamahmoudi@yahoo.fr)

### المخلص

إن بحث جمالية الفن الإسلامي، بحث تحليلي لأهم مميزاته، لكونه مرتبطا بالعقيدة الإسلامية، حيث أجريت حوله دراسات عديدة، حاولت التشكيك في أصالته وتفردته عن باقي الفنون التي عاصرته أو سبقتة، وحاولت في كل مرة أن ترجع إبداعاته وجماليته إلى فنون أخرى، غير أن دراسته دراسة فلسفية وفكرية، جعلنا نتوصل في نهاية البحث، أن الفن الإسلامي من أوسع، وأن المنهج الفكري للعقيدة الإسلامية كان له بصماته الواضحة على أشكاله ومضامينه على مختلف الفنون، وخلاصة القول: إن جمالية الفن الإسلامي بلورته العقيدة الإسلامية، رغم عاملي التأثير والتأثير.

الكلمات المفتاحية: الجمالية؛ الفن؛ الإسلام.



## The Aesthetic of Islamic Arts

**Mahmoudi Dahbia**

Institute of Archaeology, University of Algiers 2 – Algeria

[dahbiamahmoudi@yahoo.fr](mailto:dahbiamahmoudi@yahoo.fr)

### Abstract

The study of Islamic art is an analytical study of its most important features, as it is linked to the Islamic faith. Many studies were conducted around it, which attempted to question its originality and uniqueness from the rest of the arts that were contemporary to it or preceded it, and tried every time to refer its creativity and aesthetics to other arts. However the study of this unique art is a philosophical and intellectual study. At the end of the research, we reached the conclusion that Islamic art is one of the broadest arts, and that the intellectual approach of the Islamic faith had its clear imprint on its forms and contents on various arts. To sum up, the aesthetic of Islamic art was crystallized by the Islamic faith, despite the factors of influence and being influenced.

**Key Word:** *Aesthetic; Islam; Arts.*



## المقدمة

يعتبر الفن في حياة الشعوب قلبها النابض بالحياة، والمرآة التي تعكس تكوينها الداخلي وتشكلها الوجداني لارتباطه بالمشاعر، فالفن من أصدق وسائل التعبير عن حياة الأمم على مدى العصور، ومقياسا دقيقا لدرجة رقيها وتحضرها<sup>١</sup>، ولا شك أن العرب قد عرفوا أنواع مختلفة من الفنون، إذ ليس من المعقول أنهم كانوا يستوردون كل ما يحتاجونه من الخارج، ولا من المتصور أنهم كانوا يستدعون الصناعات الأجنبية لصناعة ما يلزمهم في حياتهم اليومية، غير أنه و بظهور الإسلام ظهر على مسرح تاريخ الفن، فن جديد هو الفن الإسلامي<sup>٢</sup>.

والفن الإسلامي مثل غيره من الفنون العالمية الأخرى، تأثر ببعض الأساليب الفنية السابقة والمعاصرة له مثل: الفن الساساني، والبيزنطي، والصيني، والقبطي والإغريقي، خاصة في المراحل الأولى لنشأته وفي الخطوات المبكرة لترعرعه وتبلوره<sup>٣</sup>، لكن ما لفت نظرنا في جل الدراسات الأثرية العربية، هي تلك المناقشات المطولة والمسهبه هي بحق، فيما يتعلق بأصالة وجمالية الفن الإسلامي وتفردته وبالاقتباس عن الفنون التي سبقته أو عاصرتة، حيث يلاحظ المهتم بهذه الدراسات، الكم الهائل من البحوث التي أنجزت من طرف مجموعة من علماء الآثار الغربيين المتخصصين في الدراسات الشرقية، حيث أرجعوا كل ظاهرة معمارية فريدة أو عمل فني كبير الى الفرس والبيزنطيين أو الأقباط، وقد أسرفوا في الغلو، حتى يظن المتتبع أن الفن الإسلامي هو عبارة عن طرز وأنماط مختلفة مأخوذة من فنون الحضارات السابقة، وحتى نزيل هذا اللبس، الذي انجر وراءه أيضا العديد ممن تتلمذوا من علماء الآثار العرب على أيدي العلماء الغربيين، قمنا بطرح الإشكالية التالية: هل الفن الإسلامي وجماليته أصيلة كونه مرتبط بالثقافة الإسلامية، أم لتأثره واقتباسه من الفنون السابقة؟

<sup>١</sup> سعاد محمود الجادر، زخرفة الفضة والمخطوطات عند المسلمين (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، شركة العيبكان للطباعة والنشر، ١٩٨٩م)، ص. ٠٦.

<sup>٢</sup> حسن الباشا، موسوعة العمارة والفنون الإسلامية، ج ١ (بيروت: أوراق شرقية، ١٩٩٩م)، ص. ٩٥-٩٦.

<sup>٣</sup> عبد الله عطية عبد الحافظ، الآثار والفنون الإسلامية (القاهرة: دن، ٢٠٠٥م)، ص. ٧-١٧.

ولقد تم بلورة هذه الإشكالية بعد الاطلاع على بعض الدراسات السابقة، التي تنفي أصالة وجمالية الفن الإسلامي، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مايلي:

- لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتير، طبع بدار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٥ م.
- س.ديماند، الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، دار المعرفة، مصر، ١٩٥٤ م.
- ك.كريزول، الآثار الإسلامية الأولى، ترجمة عبد الهادي عبلة، نشر وتوزيع دار قتيبة، دمشق، ط ١، ١٩٨٤ م.
- Combe,Sauvaget et Wiet,Repertoire cronologique d'epigraphie Arabe,le Caire,193
- Marçais ;Gorges,L'Aechitecture musulmane d'occident ,Paris 1954
- Gustave le Bon,La civilisation des Arabes,imprimé par IMAG-Syracus(Italie),1669
- Prosper(R),Pour comprendre l'Art Musulman dans L'Afrique du nord et en Espagne,Hachette,1924.
- Popado Poulo(A),l'Islam et l'Art Musulman,Paris,1931

وتجدر الإشارة إلى أنه تم استعمال المنهجين التاريخي والتحليلي، بغية التوصل إلى نتائج تدعم أحد الرأيين.

### ماهية الفن الإسلامي وجماليته :

قبل أن نتطرق إلى الفن الإسلامي يجب معرفة معنى كلمة (الفن)، ففي العربية استعملت كلمة فن حديثا عوضا عن كلمة صناعة المتعارف عليها قديما، فكل ما أقترن بكلمة فن وبخاصة الفنون الجميلة، عرفه المسلمون تحت عنوان الصناعة، حيث كانوا يقولون صناعة الأدب، وصناعة الشعر... الخ. وكلمة صناعة لا تقل صلة بالموضوع عن كلمة الفن، بل هي ألصق بالمعنى وأدق في التعبير<sup>٤</sup>.

والفن لغة: معناه الضرب واللون من الشيء والجمع أفنان وفنون، نقول فنن الناس جعلهم فنونا أنواعا، وفنن الثوب: جعل فيه طرائف ليست من جنسه، افتن الرجل في أحاديثه: جاء بالأفانين أو أخذ في

<sup>٤</sup> صالح أحمد الشامي، الفن الإسلامي التزام وإبداع (دمشق: دار القلم، ط ١، ١٩٩٠ م)، ص. ١٨ - ٢٠.



فنون القول، وهناك علاقة وثيقة بين معنى الكلمة وما انتدبت له من مصطلح، حيث استهوت الناس وأغرتهم باستعمالها وإطلاقها على كل عمل يريدون وصفه بالدقة والجمال، مما أدى إلى اتساع استعمال الكلمة فاحتاج الأمر إلى التحديد والتخصيص<sup>٥</sup>.

يطلعنا تاريخ الحضارة الإنسانية على الكثير من النماذج والأمثلة من تراث الفن الذي هو تعبير عن الحضارة ولسان حال المجتمع، فإن يد الزمان تطوي الأجيال البشرية جيلا بعد جيل، غير أن التراث المادي يظل متمثلا في الرمز الفني والصناعة المادية تشهد بما كان عليه حال الحضارات، وبالتالي فإنها تساعدنا في التوصل إلى معرفة أسرار هذه الحضارات، ومقدار ما أنجزته في الميادين العلمية والاقتصادية والعسكرية والفنية وغيرها<sup>٦</sup>.

ويعتبر الفن الإسلامي المرآة العاكسة لنشاط الفنانين المسلمين الذين تأثروا بعد الفتوحات بفنون البلاد التي فتحوها، فامتزجت حضارتهم الفنية بفنون هذه البلاد حيث عمل خلفاء الدولة الأموية (٤١ هـ - ٦٦١ م / ١٢٩ هـ - ٧٤٩ م) على جلب مواد البناء واليد العاملة من الولايات المجاورة لإقامة المدن الجديدة، وإنشاء القصور والمساجد فاستعانوا بعمال من سوريا وبيزنطة<sup>٧</sup> لبناء الجامع الأموي وتجميله بالفسيفساء، وتشهد بعض الآثار المعمارية الإسلامية على التأثير القوي للفن البيزنطي والساساني خاصة في فسيفساء قبة الصخرة ببيت المقدس، وواجهة قصر المشتى التي ترجع إلى القرن الثامن، كما كان هناك قصر (قصير عمرة) وهو قصر صغير ينطوي على آية في الفن الإسلامي<sup>٨</sup>، وغيرها من الآثار المعمارية المبدعة التي تدل على اهتمام المسلمين بالفنون والجماليات، وعلى هذا النحو يتضح لنا وجود نهضة فنية في العالم الإسلامي تشهد بذلك



<sup>٥</sup> صالح أحمد الشامي، الفن الإسلامي التزام وإبداع، ص. ١٩-٢٠.

<sup>٦</sup> راوية عبد المنعم عباس، الحس الجمالي وتاريخ الفن (القاهرة: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩٨ م)، ص. ٢٠٢.

<sup>٧</sup> ديمانند م. س، الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد عيسى، مراجعة أحمد فكري، (قاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨ م)، ص. ٥ - ٢٣.

<sup>٨</sup> ديمانند م. س، الفنون الإسلامية، ص. ٥ - ٢٣.

ما ترجمته عنهم آثارهم المعمارية والزخرفية، التي ظهرت في جميع ما خلفوه لنا من أدوات وأبسطة ومعادن وزجاج وغيرها<sup>٩</sup>.

إن أول ما يشد الانتباه في الفن الإسلامي، وحدته الأساسية من حيث التصور العام لعالم الأشكال والمساحات والأحجام، أي للمكونات المادية لذلك الفن، فحيثما نتجه نعجب لتعدد الأشكال والتقنيات والخامات المستعملة، ولكننا نشعر وللوهلة الأولى بالوحدة الجمالية المسيطرة على كل الإنجازات الفنية، وهذا الإحساس بالوحدة خاصة الفن الإسلامي الأولى، وقدرته الإبداعية التي هضمت كل عناصر التراث الفني البشري السابق لظهور الإسلام دون أن يفقد ملامحه الخاصة. ولقد ورثت الحضارة الإسلامية كما سبق ذكره أنماطا فنية بيزنطية، وساسانية وبربرية وغيرها، ولكن هذا لا يغير من أصالة الفن الإسلامي شيئا، إذ لا يمكن أن تنشأ الفنون من لا شيء، فانتشار الإسلام على رقعة هائلة الامتداد جعله يحمل طابع التعدد والتنوع والكثرة، والواضح أنه لم يسع إلى طمس شخصية الشعوب التي انضوت تحت لوائه، بل فتح لها طريق الإبداع والعتاء وميز حضورها في التاريخ<sup>١٠</sup>، ولكن ضمن إطار الوحدة الشاملة أو ما يمكن التعبير عنه بالوحدة في التنوع<sup>١١</sup>.

### علاقة الفن الإسلامي بالدين :

إن الفن الإسلامي يتميز وينفرد بصفات خاصة عن سائر الفنون الدينية، التي عرفها تاريخ الفن، فمنذ البداية لم يأخذ الفن في علاقته مع الدين وظيفة التبشير، أو وظيفة الإعلان، أو وظيفة الشرح، أي أنه لم يكن وسيلة مباشرة في خدمة الدين، ومع ذلك لا نستطيع أن نفصله عن الدين، فمنذ إنشاء أول أثر إسلامي، حضر الفن الإسلامي حضوره الأول، وكان حضوره شبه كامل، ولم يبتعد فيما بعد عن الأسس والصفات والخصائص التي تجلت في الأعمال الفنية الأولى.

<sup>٩</sup> رواية عبد المنعم عباس، *الحس الجمالي وتاريخ الفن*، ص. ٧٧.

<sup>١٠</sup> سمير الصانع، *الفن الإسلامي، قراءة تأملية في فلسفته وخصائصه الجمالية* (بيروت: دار المغرب، ط. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص. ٣٢-٦٧.

<sup>١١</sup> سمير الصايغ، *الفن الإسلامي، قراءة تأملية في فلسفته وخصائصه الجمالية*، ص. ٦٧.



إذا لم يكن الفن الإسلامي وسيلة مباشرة في خدمة الدين، ذلك لأن هذا الفن أخذ من الدين رؤيته الكبرى في فهم الغيب والوجود معا، وفي فهم الإنسان والحياة معا، ووقف إزاء الدين وقفة إيمان عميق، كونه رسالة سماوية إلهية، إن الرؤيا والفهم الديني الذي جاء به الإسلام يشكل المنطلق أو الفلسفة الفنية والفلسفة الجمالية، التي ينحدر منها الفن الإسلامي في كل تفاصيله، لذلك تبدو العلاقة بين الفن والدين علاقة فلسفية عقلانية صوفية وإيمانية، فالتوحيد الذي دعا إليه الإسلام كدين، يترجمه الفن الإسلامي إلى لغة فنية مذهلة، حيث يتحول نداء التوحيد إلى نظام شامل وفلسفة محكمة تحكم كل شيء، الخط واللون والمساحة والعلاقة القائمة بينها، إن الألف في الخط العربي هي الواحد الذي ينظم سائر الحروف في شكلها وطولها وعرضها وانحنائها أو دورانها، وستكون العلاقة بين نقطة الدائرة وبين نقاط محيط هذه الدائرة كالعلاقة بين الرب والعبد، فالرب هو نقطة مركز دائرة الغيب، ومركز دائرة الوجود، والإنسان نقطة على محيط دائرة الوجود يدور حول نقطة المركز، الذي من دونها لا وجود للمحيط<sup>١٢</sup>، وبذلك يمكن القول: إن فنون الشعوب الإسلامية تغلب عليها صفة القداسة دون أن يربطها بالعقيدة نظام طقوسي معين على نحو ما نرى في الفن البوذي، أو المسيحي مثلا ويترك غياب برنامج طقوسي مفروض مسبقا للفنون الإسلامية إطارًا واسعًا للتعبير عن تلك الشهادة لله في صيغه موحدة لا تعرف التناقض بين فن ديني وآخر دنيوي.

إن مجال تلك الفنون هو العالم، ورسالتها أن تطبع بإبداعاتها كل الأشياء المرئية فلذلك نجد أن جماليته موحدة في مظهرها العام ورسالتها أن تطبع العمائر الدينية والمدنية وفنون الكتب والمنتجات الحرفية، وتنتظم بصفتها مظهرًا من مظاهر حياة المسلمين المادية والروحية حول مفهوم الله كمركز ونجد فيه مفتاح معانيها العميقة فتتطابق مركزية الله في العالم الروحي مع مركزية الكعبة الشريفة على الأرض، كما يتوسط المسجد المدينة ويتوسط المحراب جدار القبلة، وتبدو هذه الدوائر المترابطة كمرحلة مادية

<sup>١٢</sup> سمير الصايغ، الفن الإسلامي، قراءة تأملية في فلسفته وخصائصه الجمالية، ص. ٦٧.

وروحية في حركة المؤمن الدائبة نحو الله، ونجد هذا المعنى الحركي في الطواف الروحي والجسدي للأمة حول الكعبة، كما توجي بها أيضا وحدات الرقش النباتية والأطباق النجمية الهندسية الدائرة حول مراكزها.<sup>١٣</sup>

### اتجاه الفن الإسلامي نحو الجمالية الزخرفية:

إن وظيفة الفن هي صنع الجمال، والزخرفة واحدة من الوسائل المهمة التي تصنع الجمال<sup>١٤</sup>، فالعناصر التي تتألف منها الزخرفة الإسلامية نابعة من الإيمان بوحداية الله جل شأنه، ومن ثم فإن الأشكال والعناصر التي تصطنعها الزخرفة الإسلامية مادة لها في حقيقتها الفنية وحدات سابحة نحو الفناء الذاتي، ليحل غيرها محلها، حتى الخط نفسه ليس خطأ كما ترى العين لكنه في حقيقته نقطة سابحة في اللانهاية، فكأن الزخرفة الإسلامية تحقق في واقع روعي قوله تبارك وتعالى: ((...ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام، فبأي آلاء ربكما تكذبان، يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن، فبأي آلاء ربكما تكذبان...)) [الرحمن: ٢٧-٣٠]. وبهذا اليقين الإيماني الإسلامي يعمد الفنان المسلم إلى تجزئة الأشكال الهندسية، والأشكال الطبيعية ليحيلها إلى جزئيات تسبح في عالم اللانهاية، تشع بمعان لا تنقضي تغري بالمشاهدة دون أن تصاب العين بالكلل أو تصاب النفس بالملل.

ويتحقق هذا التنوع اللانهائي للزخرفة الإسلامية بعناصر شتى أهمها: وحدات هندسية، وعناصر محورة عن النباتات والحيوانات والرقش العربي الذي يمزج فيه الفنان بين كل هذه التكوينات، ومن العناصر المعمارية الزخرفية، الأعمدة والمقرنصات، التي هي ابتكار إسلامي لم يظهر في أي حضارة من قبل. ومما سبق ذكره يمكن أن نستنتج خصائص الزخرفة الإسلامية:

<sup>١٣</sup> علي اللواتي، خواطر حول الوحدة الجمالية للتراث الفني الإسلامي، الفنون الإسلامية: المبادئ والأشكال والمضامين المشتركة، أعمال الندوة العالمية المنعقدة في أسطنبول أبريل، نيسان ١٩٨٣. دمشق، دار الفكر، ١٩٨٩، ص. ٨٧. انظر أيضا: مقال عبد العزيز كامل في نفس المجلة أعلاه بعنوان الفن الإسلامي بين الدين والإبداع، يتطرق إلى التفاعل بين التشريع الإسلامي والقضايا والمشكلات التي تظهرها تطور الحياة مدعما بآيات قرآنية وأحاديث نبوية ص. ٣٧-٥٠.

<sup>١٤</sup> صالح أحمد الشامي، الفن الإسلامي التزام وإبداع، ص. ١٧٠.



وأول هذه الخصائص: أن أي نقطة في الزخرفة الإسلامية تعطي الإحساس التلقائي بأن هناك حركة مطلقة متحررة من كل قيد في إطار النسق الزخرفي.

ثاني هذه الخصائص: هو أن الكون ليس فيه فراغ، وليس مكانا يمكن أن يكون خاليا من أي نوع من أنواع الحياة. فالعدم ليس موجودا في الكون على الإطلاق، بل إنه حياة في حياة، لأنه في أصله من إبداع الهي القيوم بديع السموات والأرض، ومن ثم تأتي هذه الخاصية وهي شغل الفراغ بالتكوينات الزخرفية وذلك بتحويل الأشكال النباتية الطبيعية، حتى يسهل إدماجها في المنطق التكراري للشبكة الرياضية<sup>١٥</sup>.

وثالث هذه الخصائص: هي التكرار، والتكرار في هذه الزخرفة هو التكرار الذي يثري الشعور ويغني الإحساس، وهو تجسيد مثالي لفكرة العودة الأبدية. والتكرار في الأساس مبدأ أصيل ومتجدد في الدين الإسلامي بحد ذاته. ففي القرآن الكريم يتكرر الكثير من المعاني والآيات في مواضع مختلفة، وأحيانا في الموضوع نفسه كما في سورة الرحمان مثلا، وأيضا التكرار المتتابع لفريضتي الصلاة والصوم، والتكرار وجد في الزخرفة الإسلامية تحقيقا لمبدأ التناظر.

والخاصية الرابعة: فهي التنوع، فإذا كان التكرار في الزخرفة الإسلامية لا يتسبب في الرتابة أو الملل، فالتكرار هنا لا يعني صورة واحدة في كل المشاهد الموجودة على السطوح لكنه متنوع، ويقع التنوع بين الوحدات الزخرفية، فالوحدة الزخرفية لقبية المسجد تختلف عن الوحدة الزخرفية للمئذنة وتختلف عن زخرفة المحراب، وتختلف عن زخرفة الجدران وتختلف عن زخرفة تيجان العمدة والسقوف والعقود، فها هنا تنوع هائل بين الوحدات المختلفة يقابله تكرار متواصل.

والخاصية الخامسة: تتمثل في الوحدة، فإن كان التكرار الذي ذكرناه يعني تكرار الزخرفة على نمط خاص في كل وحدة، بحيث يكون لكل وحدة نواتها الأصلية وإشعاعاتها الزخرفية، هذه الوحدات المختلفة لا تعني التشتت والتنافر، إذ تجمعها وحدة فنية توحى بوحدة إنسانية، توحى بوحدة الله سبحانه وتعالى<sup>١٦</sup>.

<sup>١٥</sup> محمد عبد العزيز مرزوق، *الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس* (بيروت: دار الثقافة، د.ت)، ص. ١٦٨-١٦٩.

<sup>١٦</sup> محمد عبد العزيز مرزوق، *الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس*، ص. ١٦٨-١٧٢.



والخاصية السادسة : وهي التجريد، لا يشكل عدم التجسيم أو عدم التمثيل أو الابتعاد عن قاعدة المحاكاة الفنية، أو الأخذ بقاعدة التسطیح الفني خصائص فريدة عرفها التصوير الإسلامي فقط، بل أن معظم هذه الخصائص عرفتها فنون حضارات شرقية سبقت الفن الإسلامي، لقد عرفها الفن المصري القديم والفن السومري والبابلي والأشوري والفينيقي. وعرفها أيضا فن آسيا الوسطى وفن الشرق الأقصى كما عرفها الفن البيزنطي الذي رافق نشوء الفن الإسلامي<sup>١٧</sup>.

فالتجريد في الفن الإسلامي جرى في إحدى المعنيين :

أ- أنه يعني خلو الموضوع من التشخيص، أي الأشخاص فيه غير مجسدة وعلى هذا تكون كلمة تجريدي في مقابل تشخيصي.

ب- يعني توخي عدم التباين بين أفراد النوع الواحد والخروج من الكثرة إلى النموذج ، فترسم ورقة شجرة، بحيث لا تمثل ورقة نبات بعينها بل تشير إلى شكلها دون تجسيمها<sup>١٨</sup>.

أما "سمير الصايغ" فيقول ((...إن التجريدية هي اصطلاح في محدث بدأ يتبلور مع الاتجاهات والأعمال الفنية التي لحقت به في منتصف القرن العشرين، وهي صفة ممكنة ومناسبة لوصف الفن العربي الإسلامي بها، وتبقى صفة من الممكن اعتبارها خصوصية من خصوصيات هذا الفن، إن المرادف لاصطلاح التجريد الفني التوحيد...))<sup>١٩</sup>، في حين يقول محمد عبد العزيز مرزوق: ((...التجريد في الفن الإسلامي تجريد مطلق لا نهائي غير مقيد بأبعاد الرؤية البصرية للموضوعات الطبيعية، كما أنه ليس تجريديا هيوليا أو عبثيا، بل هو تجريد تحكمه قوانين الإيقاع الرياضية، فالتجريد والرمز هما الدعامتان الأساسيتان اللتين يعتمد عليهما الفن الإسلامي من خلال تمثيله للفكر الإسلامي ومن خلال تأمل طويل وعميق للطبيعة والكون والحياة...))<sup>٢٠</sup>، وبعد أن انتهج الفن الإسلامي هذا المنهج أصبح يتسم بأسلوب فني خاص يمكن تلخيصه فيما يلي :

<sup>١٧</sup> سمير الصايغ، الفن الإسلامي، قراءة تأملية في فلسفته وخصائصه الجمالية، ص. ١٣٨.

<sup>١٨</sup> صالح أحمد الشامى، الفن الإسلامي التزام وإبداع، ص. ٢٤١.

<sup>١٩</sup> سمير الصايغ، الفن الإسلامي، قراءة تأملية في فلسفته وخصائصه الجمالية، ص. ١٠٤.

<sup>٢٠</sup> محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص. ١٧٠.



- إهمال المظاهر الحسية في العمل الفني، وإغفال تفاصيل العناصر المرسومة وتجريد العناصر الطبيعية إلى خطوط بسيطة هندسية وإحاطة العناصر بالخطوط.
  - تجنب خداع النظر والمنظور والاتجاه نحو التسطیح.
  - عدم استعمال الظلال والأضواء مع تغطية المساحات بلون واحد بحيث يحقق قيمة جمالية ولغة مرئية.
  - الابتعاد عن النحت الثلاثي الأبعاد.
  - إثبات بعض العناصر الوهمية أو المستحيلة هنا وهناك، كاستعمال الألوان بطريقة لا واقعية مثل استخدام اللون الذهبي وهو أكثر الألوان تجريداً<sup>٢١</sup>.
- إذن لكي تنتقل من الصورة إلى المعنى أمام هذا الفن لا بد لنا من نفاذ بصرية أي لا بد لنا من ذوق شفاف وملهم، ذلك أن المدلول مجرد والتجريد لغة للقلب ولهجة من لهجات الروح<sup>٢٢</sup>.

### علاقة الفن الإسلامي بالصناعات:

إن قيمة الأشياء لا تنفصل عن وظيفتها أو فائدتها، ولو اتجه الفنانون إلى الاهتمام بالمظهر الخارجي للأشياء، وحاولوا تجميله دون مراعاة وظائفها لظهر إنتاجهم ضعيفا وافتقد إلى الجودة. إننا لو نظرنا حولنا لوجدنا أن التداخل يبدو عميقا بين الموضوعين الجمالي والصناعي، فالصناعة لا تعد نقطة بدء للفن فحسب، بل تلعب دورا جوهريا في إبرازه والشائع أن كل صناعة موجودة لا بد أن تدخلها لمسة فنية<sup>٢٣</sup>، كان يمكن أن نسي هذه الأعمال آلات وحسب ونلغي كلمة فن ونستبدلها بكلمة صناعة، لولا أن هذه السجادة، أو هذا الإبريق، أو هذه الملعقة، أو هذا القميص لم يكن في الوقت نفسه صفحة فن محكم النظام متناسق الصفات والخصائص يوحد جوهر فني واحد ورؤيا جمالية واحدة، وفلسفة إبداعية

<sup>٢١</sup> حجازي، نفسه، ١٧٧، ١٦٦. انظر أيضا: محمد عبد الواحد، *فلسفة الفنون في الإسلام* (الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر، د.ت)، ص. ١٦٥-١٦٦.

<sup>٢٢</sup> سمير الصايغ، *الفن الإسلامي، قراءة تأملية في فلسفته وخصائصه الجمالية*، ص. ٧٠-٧١.

<sup>٢٣</sup> رواية عبد المنعم عباس، *الحس الجمالي وتاريخ الفن*، ص. ٢٢١-٢٢٢.

واحدة، فليس السجادة صوفا معقودا فحسب، بل هي رسم وشكل ولون وهندسة ونظام ونسب تشكل بدورها العناصر الفنية التي يقام عليها الفن الإسلامي ككل، إذا ثمة فن ومنفعة، إلا أن العلاقة بين الفن والمنفعة لا تتوقف في الفن الإسلامي عند المعاني أو الحدود التي عرفتها الفنون القديمة أو الحديثة، حيث يقول في هذا الشأن جلال الدين الرومي نقلا عن سمير الصايغ: ((...إن الصورة الظاهرة رسمت لكي تدرك الصورة الباطنة والصورة الأخيرة تشكلت من أجل إدراك صورة باطنية أخرى على قدر نفاذ بصيرتك...))، معنى ذلك أنه في الوقت الذي يجمع الفن الإسلامي بين الجمال والمنفعة يستقل بغايته أو بقصده الفلسفي والإبداعي استقلالاً مدهشاً، بحيث لا تتأثر هذه الغاية بوظائفه ونفعية هذا الفن المباشر، ذلك أنها غاية باطنية رمزية<sup>٢٤</sup>.

إن الإبداع الفني الإسلامي بمفهومه الواسع، هو محاولة الفنان أن يعبر تعبيراً جمالياً في إطار عقيدته، ولهذا الإبداع وسائل تواصل متعددة تجمع الكلمة والخط (في استقامته وانحنائه) والشكل والحجم واللون والكتلة. فتنوع المواد التي يعالجها فتشمل الورق والجلد والحجر والمعدن والزجاج والفخار والخشب والصخر. وتنوع الأفاق التي يضمها لتشمل الكلمة المكتوبة والزخرفة والرسم والنحت والعمارة والفنون التطبيقية والصورة. وتنوع الأحجام التي يعمل فيها من تخطيط مدينة كاملة إلى مسجد وقصر وقلعة إلى تصميم وتزيين كتاب أو حلية أو سلاح أو أداة من أدوات الحياة اليومية.

لقد خلف لنا الفن الإسلامي بإبداعاته متحفاً كبيراً تمتد قاعاته من اليابان والصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، وينتشر في إفريقيا جنوباً وأوروبا شمالاً، ومنه الآن فروع في العالم الجديد وأستراليا، حيث تستقر جماعات إسلامية نقلت معها أقباساً من هذا الفن وتضيف إليه إبداعاً يحمل روح الإسلام، وإن تأثر بدرجات متفاوتة بمؤثرات محلية سابقة أو معاصرة<sup>٢٥</sup>.

<sup>٢٤</sup> سمير الصايغ، *الفن الإسلامي، قراءة تأملية في فلسفته وخصائصه الجمالية*، ص. ٢٤٩.  
<sup>٢٥</sup> عبد العزيز كامل، *الفن الإسلامي بين الدين والإبداع، الفنون الإسلامية: المبادئ والأشكال والمضامين المشتركة*، أعمال الندوة العالمية المنعقدة في أسطانبول أبريل، نيسان ١٩٨٣. (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٩م)، ص. ٣٧-٣٨.



## الخاتمة

وختاماً نختم هذا البحث ونقول: يبقى الفن الإسلامي واحد من الفنون التي لم تقص الفنون الأخرى، بل تأثرت وأثرت، حيث تؤكد جل الدراسات على أن الفن الإسلامي كان ولا يزال مصدر إلهام لكل الفنون عبر العالم. ولقد استوعب الفن الإسلامي العديد من ثقافات وفنون الأمم والشعوب التي اعتنقت الدين الإسلامي، وكانت هذه الثقافات عامل تنوع وثراء كبيرين للفنون الإسلامية، حيث برزت شخصيتها الجمالية، بعد أن انصهرت في بوتقة الفن الإسلامي، مما يدل أن المنهج الفكري للعقيدة كان له تأثيره القوي وبصماته الواضحة على الفن الإسلامي شكلاً ومضموناً، لأن الدين الإسلامي دعى إلى الاستغناء كلية عن جميع أنواع الفنون المرتبطة بالجاهلية وعقائدها، فنبى عن صناعة التماثيل ورسم كل ما فيه روح. إن الفن الإسلامي فن تطبيقي، اهتم بكل مجالات الإنتاج والصناعات المختلفة، حيث برزت إبداعاته الفنية المتفردة على جميع المشغولات، التي تدخل في صميم الحياة اليومية للإنسان المسلم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال إغفال أصالة وجمالية الفن الإسلامي ضمن حضارات سبقت أو عاصرته.



## المصادر والمراجع

الباشا، حسن. *موسوعة العمارة والفنون الإسلامية*. بيروت: أوراق شرقية، ١٩٩٩ م.  
الشامي، صالح أحمد. *الفن الإسلامي التزام وإبداع*. دمشق: دار القلم، ١٩٩٠ م.  
الصايغ، سمير. *الفن الإسلامي، قراءة تأملية في فلسفته وخصائصه الجمالية*. بيروت: دار المغرب، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م.

اللواتي، علي. "خواطر حول الوحدة الجمالية للتراث الفني الإسلامي". *الفنون الإسلامية: المبادئ والأشكال والمضامين المشتركة*، أعمال الندوة العالمية المنعقدة في أسطانبول أبريل، نيسان ١٩٨٣، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٩ م.  
حجازي، محمد عبد الواحد. *فلسفة الفنون في الإسلام*. الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر، د.ت.

ديماند، م. س. *الفنون الإسلامية*. ترجمة أحمد عيسى، مراجعة أحمد فكري. د.م: دار المعارف، ١٩٥٨ م.

عباس، راوية عبد المنعم. *الحس الجمالي وتاريخ الفن*. القاهرة: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٩٨.

عبد الحافظ، عبد الله عطية. *الأثار والفنون الإسلامية*. القاهرة: دن، ٢٠٠٥ م.  
كامل، عبد العزيز. "الفن الإسلامي بين الدين والإبداع". *الفنون الإسلامية: المبادئ والأشكال والمضامين المشتركة*، أعمال الندوة العالمية المنعقدة في أسطانبول أبريل، نيسان ١٩٨٣، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٩ م.

محمود الجادر، سعاد. *زخرفة الفضة والمخطوطات عند المسلمين*. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، شركة العبيكان للطباعة والنشر، ١٩٨٩ م.  
مرزوق، محمد عبد العزيز. *الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس*. بيروت: دار الثقافة، د.ت.